ركائز حفظ القرآن الكريم

الشيخ أحمد خالد شوباش محمد علي

مفتي محافظة نابلس

دار الإفتاء الفلسطينية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فلقد تلقينا دعوة كريمة للمشاركة في مؤتمر "واقع تحفيظ القرآن الكريم في فلسطين آمال وتطلعات" الذي يعقده ملتقى القرآن في كلية الشريعة، كما تلقيت تكليفاً من سماحة الشيخ محمد حسين حفظه الله المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية بالحضور والمشاركة بسبب ارتباطاته المسبقة.

وقد اطلعت على محاور المؤتمر فارتأيت تقديم بحث حول ركائز حفظ القرآن الكريم ضمن محور جهود الأمة في تحفيظ القرآن الكريم، مبيناً الأسس والقواعد التي أسهمت لدى السابقين من السلف الصالح – رضي الله عنهم – في تثبيت حفظ القرآن في صدورهم.

والبحث يعالج إشكالية تراجع بعض الركائز وضعفها لدى بعض المهتمين في حفظ القرآن، فجاء يقدم مجموعة من الركائز التي لا بد من مراعاتها؛ ليحقق القرآن واقعاً ما حققه لدى السابقين، فهذا هو سبب اختيار الموضوع والله المستعان.

تمهيد:

يعد القرآن الكريم خير كتاب عرفته البشرية عبر تاريخها، خاصة أنه كتاب الله الذي يحوي كلامه سبحانه.

والعناية بالقرآن الكريم منذ نزوله لم تتوقف، كونه كتاب الله الذي نزل لهداية البشرية وسعادتها في الدارين، وقد أدرك المسلمون مكانة القرآن الكريم، إذ يقول جل شأنه: { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }[1] أي شرفكم وارتفاعكم وفخركم.

وجاء التنبيه والإشارة إلى مكانة حفاظه ومن أودعه في صدره وقلبه فضلاً عن شرف الأمة وعزها { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ }.[2]

فالقرآن آياته واضحة ليست خفية، في صدور العلماء والحفاظ وهم سادة الخلق وعقلاؤهم وأولو الألباب والكمّل منهم؛ ليكونوا حجة على غيرهم من الناس، وإن أنكروا أو أنكر بعضهم فالعيب في المنكر؛ لأنه يكون ظالماً لنفسه جاحداً جاهلاً لم ينتفع بالقرآن وأهله.

وقد اتفقت كلمة العلماء على أن حفظ القرآن – ما عدا الفاتحة – من فروض الكفايات، إلا أن الأجر العظيم الذي ينتظر الحفاظ دفعهم للإقبال عليه، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ ".[3]

وعن حذيفة بن اليمان قال: "يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ".[4]

ومنزلة حافظ كتاب الله تكون بقدر ما يحفظ ويعمل، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا" [5]. وقال ميمون بن مهران: "لو صلح أهل القرآن صلح الناس".[6]

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 10.

[2] سورة العنكبوت، الآية: 49.

[3] رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم كلمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، ج1 ص 559.

[4] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج9 ص93.

[5] رواه أبو داود في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب كيف يستحب الترتيل في القراءة، ج2 ص73.

[6] الآجري: أخلاق حملة القرآن، ص 43 وإسناده حسن.

ومعرفة الحفاظ أن الله يحب الإتقان دفعهم للإحسان والإتقان.[1]

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وخمس ركائز، وخاتمة.

فالمقدمة: أذكر فيها سبب اختيار الموضوع و إشكاليته.

والتمهيد: اذكر فيه مكانة القرآن للحفاظ وحكم الحفظ.

والركيزة الأولى: الإخلاص.

والثانية: الفهم والتدبر.

والثالثة: الجودة والإتقان.

والرابعة: علو الهمة.

والخامسة: العمل بالقرآن والانتفاع به.

والخاتمة: أذكر فيها أبرز نتائج البحث وبعض التوصيات.

وفي الختام، فإن هذا جهد المقلّ، فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت فمني ومن الشيطان، والله أسأل أن يعفو عني ويتقبل مني.

[1] ورد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " ، رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، مسند عائشة، ج7 ص349، وصححه الألباني.

الركيزة الأولى

الإخلاص

يعد الإخلاص أحد شرطي قبول الأعمال الصالحة عند الله تعالى، إذ أن العبادات بمفهومها العام والشامل باعتبارها اسماً جامعاً لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، لا تقبل عند الله ولا تصح إلا بشرطين: الأول: أنْ تكون خالصة لله تعالى، والثاني: أن تكون مشروعة، أي: على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد دلت نصوص كثيرة على اعتبار هذين الشرطين، ومن تلك النصوص التي جمعت الشرطين معاً قوله تعالى: { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }[1] وقوله: { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا }[2]. قال سعيد بن جبير: { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ } أخلصَ، { وَجْهَهُ } دينه، { وَهُوَ مُحْسِنٌ } أي: مُتبعٌ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.[3] وهو ما أكده قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }[4].

وكون الإخلاص شرطاً لقبول العبادة، وباعتباره أحد ركائز حفظ القرآن وتثبيت حفظه في صدور الحفاظ وواقع حياتهم، لا بد من التفصيل فيه عبر المسائل الآتية:

المسألة الأولى: حقيقة الإخلاص ومفهومه:

جاء في معجم مقاييس اللغة: " (خلص) الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرّد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه. يقولون: خلصته من كذا وخلص هو. وخلاصة السَّمن: ما ألقي فيه من تمر أو سويق ليخلص به ".[5]

وفي الاصطلاح: إخراج الخلق عن معاملة الله تعالى أي لا يفعل فعلا إلّا لله تعالى، أو هو أن تكون جميع حركات العابد وسكناته وقيامه وقعوده وتقلّباته وأفعاله وأقواله لله تعالى، وذلك بتجرّد الباعث

---

[1] سورة البقرة، الآية: 112.
[2] سورة النساء، الآية: 125.
[3] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي [700- 774] تفسير القرآن العظيم ج1 ص 385، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ 1999م، عدد الأجزاء: 8.
[4] سورة الكهف، الآية: 110.
[5] ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ج2 ص 208. المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: 1399هـ - 1979م، عدد الأجزاء: 6.

للواحد[1] وهو ما دل على قوله تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[2].

المسألة الثانية: فضل الإخلاص:

ورد في فضل الإخلاص عشرات النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، تؤكد على منزلته العالية ومكانته السامقة، ومن ذلك قوله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }[3] وقال: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ }[4] فالإخلاص طريق قبول العمل وأحد شرطيه، قال تعالى: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }[5]، قال الفضيل بن عياض: " أخلصه وأصوبه قَالُوا: يَا أَبَا عَليّ مَا أخلصه وأصوبه؟ قَالَ: إِن الْعَمَل إِذا كَانَ خَالِصا وَلم يكن صَوَابا لم يقبل وَإِذا كَانَ صَوَابا وَلم يكن خَالِصا لم يقبل حَتَّى يكون خَالِصا صَوَابا والخالص أَن يكون لله وَالصَّوَاب أَن يكون على السّنة ". [6]

والعبد المخلص يجتذبه ربه ويجتبيه، ويحيي قلبه، فينصرف عن السوء والفحشاء، حتى يذوق حلاوة محبة الله، فيصير القلب راغباً في ما عند الله، راهباً عن سواه منيباً إليه سبحانه.

وقبول الأعمال وصحتها منوط بالنية الصالحة الخالصة، فضلاً عن أن النيات الصالحات تجعل المباحات عبادات، فعن أمير المؤمنين عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"،[8] فالمخلص يريد الدار الآخرة، كما قال تعالى: { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا }[9].

---

[1] التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد (المتوفى: بعد 1158هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج1 ص 122، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى 1996، عدد الأجزاء: 2.

[2] سورة الانعام، الآيتان: 162– 163.

[3] سورة البينة، الآية: 5.

[4] سورة الزمر، الآية: 3.

[5] سورة الملك، الآية: 2.

[6] ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، العبودية: ص 72، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة 1426هـ– 2005م.

[8] متفق عيه، البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه ج1 ص6 كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى 1424هـ عدد الأجزاء: 9.

والنيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري (المتوفى: 261هـ) المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ج3 ص 1115، كتاب الإيمان، باب قوله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات وأنه يدخل فيه الغرور وغيره من الأعمال"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5.

[9] سورة الإسراء، الآية: 19.

ومن فضل النية الصالحة والإخلاص، أن صاحبها يستحق الأجر بها إذا حبسه العذر عن العمل، فعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري – رضي الله عنهما – قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: " إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ"، وفي رواية "إلا شركوكم في الأجر"[1].

ومن فضل الإخلاص أنه سبب النجاة من الضيق والكرب والشدة، ففي حديث النفر الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فدعا كل واحد منهم مولاه بأرجى عمل وصالحه، وكان كل واحد منهم يقول بعد ذكر عمله: "اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ"[3]، فكانت الصخرة تنفرج شيئاً فشيئاً حتى خرجوا يمشون.

والآثار في فضائل الإخلاص أكثر من أن تحصى في هذا البحث المختصر.

– المسألة الثالثة: أثر الإخلاص في حفظ القرآن:

إذا كان الإخلاص ذا أثر عظيم على صاحبه، وإذا عاد حفظ القرآن على صاحبه بعظم حرمته، إذ يقول الربيع بين سليمان: سمعت الشافعي يقول: " من حفظ القرآن عظمت حرمته، ومن طلب الفقه نبل قدره، ومن عرف الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم "[4] فكيف إذا اجتمع الإخلاص مع حفظ القرآن الكريم.

وحتى ينتفع حافظ القرآن بحفظه فتحصل له الخيرات في الدنيا، والمثوبات العظام في الآخرة، لا بد له من النية الصالحة والإخلاص في الطلب والحفظ.

ولا شك أن للقرآن آثاراً لا تعد ولا تحصى، فمن أخذه بإخلاص حقق له الكثير من الثمار والجوائز، منها الأجر العظيم والتجارة الرابحة يقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ، لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ }.[5] ومنها حصول الملجأ والحصن المنيع، قال تعالى: { وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا }[6] ومنها أنك تصير من خيار الأمة الإسلامية، فعن عثمان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"، والقرآن يرفع صاحبه، فعن عمر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ". [2]

---

[4] ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) جامع بيان العلم وفضله، ج1 ص 511، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1414هـ – 1994م، عدد الأجزاء: 2.

[5] سورة فاطر، الآيتان: 29،30.

[6] سورة الكهف، الآية: 27.

[2] النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج1 ص 559، كتاب الإيمان، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمه من فقه أو غيره فعمل بها وعلّمها.

حتى يصير موضعاً للغبطة والاقتداء، فعن عمر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ"،[3] وبه ينسب العبد إلى الله، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله أهلين من الناس، قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصت"[4]، وهو الشفيع لأصحابه، ومثقل الموازين بالحسنات؛ بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، ومن اشتغل به أعطاه من خير ما يعطي السائلين، وهو خير ما يمتلأ به الجوف، وكل بيت خلا منه صار كالبيت الخرب، وحامل القرآن موضع إكرام الله، ومُقدم في الدنيا والآخرة، وقلب صاحبه لا يعذب.

هذا ولا يخفى أن حافظ القرآن يستطيع القراءة أكثر من غيره ليسر التلاوة من حفظه، ويتيسر له قيام الليل، ويعد من حمّال القرآن الذين ينالون شرف دفاعه عنهم، ويكون سبباً لرفع منزلتهم في الجنة وتأمينهم من العذاب الأخروي فضلاً عن تعليمه للناس وأنه يكون قدوة حسنة للمسلمين ولغيرهم.[5]

المسألة الرابعة: خطر التباهي وفساد النية:

إذا كان حافظ القرآن مطالباً بالعناية بالإخلاص ورعايته، فإن أشد ما ينبغي الحذر منه فساد نيته، والتباهي والرياء، وإرادة وجه الناس ومدحهم، يقول تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[6].

وإرادة أعراض الدنيا والجاه والمكانة لدى الناس بالقرآن تحرم المرء من الجنة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي رِيحَهَا".[7]

فمن تعلم علماً يطلب به رضا الله والدار الآخرة، لينال به حظاً أو مالاً أو جاهاً حرم الله عليه الجنة بل حرّم عليه ريحها مبالغة في الحرمان حتى ينال عقابه، ثم أمره إلى الله. [1]

بل إنه من أوائل من تسعّر بهم النار قبل مرتكبي الكبائر من الزناة وشاربي الخمر والقتلة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ،

---

(5) العشري: محمد، مقالة: من القواعد الأساسية لحفظ القرآن.. الإخلاص، شبكة الألوكة alukah.net/social/o/57328.

(6) سورة الزمر، الآية: 65.

(1) العظيم آبادي: أبو عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر (المتوفى: 1329هـ) عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ج1 ص 70، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية 1415هـ عدد الأجزاء: 14.

وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"[2]

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **تعلّموا القرآن وسَلُوا الله به قبلَ أن يتعلمه قومٌ يسألون به الدنيا، فإنّ القرآن يتعلمه ثلاثةُ نفر: رجلٌ يباهي به، ورجلٌ يستأكل به، ورجلٌ يقرؤه لله عز جل**". [3]

ومعنى يستأكل به: أي يجعل الهدف من تعلمه وتعليمه وحفظه وتلاوته طلب الرزق والمال، فإذا أعطى المال قام به، وإن لم يعط توقف عن ذلك، فما أشد خسارته.

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَارِئٍ يَقْرَأُ، ثُمَّ سَأَلَ فَاسْتَرْجَعَ[4]**، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ".**[5].

---

[2] النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج3 ص 1513، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

[3] الهروي: أبو عبيد الله القاسم بن سلام البغدادي (المتوفى: 224 هـ) فضائل القرآن، باب القارئ يستأكل بالقرآن ص 205، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى 1415هـ – 1995م، وقد أورده الألباني في السلسلة الصحيحة 1/ 118 – 119 ح 258، وقال: للحديث شواهد أخرى تؤيد صحته عن جماعة من الصحابة.

[4] معنى سأل: أي طلب من الناس مالاً، واسترجع: أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون كأن مصيبة وقعت بذلك.

[5] الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (المتوفى: 279هـ) سنن الترمذي، ج5 ص 179، أبواب فضائل القرآن باب منه، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر ج1، 2، ومحمد فؤاد عبد الباقي ج3، إبراهيم فؤاد عطوة ج4، 5، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، الطبعة الثانية: 1395هـ – 1975م، عدد الأجزاء: 5 ، وقال الألباني: حديث حسن.

وقال الحسن البصري – رحمه الله – قرّاء القرآن ثلاثة أصناف:

– صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به.

– وصنف أقاموا حروفه، وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستدروا به الولاة، كثير هذا الضرب من حملة القرآن لا كثَّرهم الله.

– وصنف عمدوا إلى دواء القرآن، فوضعوه على داء قلوبهم، واستشعروا الخوف، فارتدوا الحزن، فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء، والله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر.[1]

فيا لخسارة من بادر إلى حفظ القرآن طلباً للجاه أو المال أو استجلاب العطايا والمكاسب أو جلب السمعة والمكانة والرفعة عند الناس، يقول النووي في بيان آداب حملة القرآن : " وينبغي أن لا يقصد به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك ". [2]

وقد حذر الإمام الآجري ممن اتخذ القرآن بضاعة للأكل بها، وطلب قضاء الحوائج يُحَقِّرُ الفقراء ويُعَظِّمُ أبناء الدنيا، إن كان حسن الصوت يقرأ للدنيا ويفخر على الناس بالقرآن، يتكبر في جلسته، ليس للخشوع في قلبه موضع، إلى أن يقول: " فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَخْلاقُهُ صَارَ فِتْنَةً لِكُلِّ مَفْتُونٍ لأَنَّهُ إِذَا عَمِلَ بِالأَخْلاقِ الَّتِي لا تَحْسُنُ بِمِثْلِهِ اقْتَدَى بِهِ الْجُهَّالُ ، فَإِذَا عِيبَ عَلَى الْجَاهِلِ ، قَالَ : فُلانٌ الْحَامِلُ لِكِتَابِ اللهِ فَعَلَ هَذَا ، وَنَحْنُ أَوْلَى أَنْ نَفْعَلَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِعَظِيمٍ ، وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ ، وَلا عُذْرَ لَهُ إِلا أَنْ يَتُوبَ. وَإِنَّمَا حَدَانِي عَلَى مَا بَيَّنْتُ مِنْ قَبِيحِ هَذِهِ الأَخْلاقِ : نَصِيحَةً مِنِي لأَهْلِ الْقُرْآنِ ، لِيَتَعَلَّقُوا بِالأَخْلاقِ الشَّرِيفَةِ ، وَيَتَجَافُوا عَنْ الأَخْلاقِ الدَّنِيَّةِ ، وَاللهُ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاهُمْ لِلرَّشَادِ ".[3]

فإذا كانت أقوال الآجري في بعض حملة القرآن في القرن الرابع الهجري فما حال بعضهم اليوم، نسأل الله الرشاد والتوفيق.

---

(1) السخاوي: أبو الحسين علي بن محمد الهمداني المصري الشافعي (المتوفى: 643هـ) جمال القراء وكمال الإقراء ص 189، تحقيق مروان العطية - د. حسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1997م، عدد الأجزاء: 1.

(2) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676 هـ) التبيان في آداب حملة القرآن ص 34، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة 1414هـ - 1994م، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان.

(3) الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (المتوفى سنة 360هـ) أخلاق حملة القرآن ص 32- 33، تحقيق وتعليق: أبو محمد أحمد شحاته الألفي السكندري، الطبعة: الأولى 1426هـ 2005م، دار النشر: دار الصفا والمروة بالأسكندرية.

الركيزة الثانية

الفهم والتدبر

لا يمكن أن يستقيم حفظ كتاب الله في صدر عبد من عباد الله إلا بفهمه وتدبره، ومعرفة مقاصده، وحسن تلاوته، وحراسة قلبه ومتابعته؛ ليعيش مع القرآن الكريم.

والفهم: علم الشيء[1] وتدبر الأمر: تأمله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل، فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه.[2]

والدعوة إلى فهم القرآن وتدبر آياته وفقه معانيه وردت في عدة مواضع من كتاب الله تعالى، يقول جل شأنه: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }[3] ويقول: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }[4]، وقد أنزل الله كتابه مباركاً ليحصل به التدبر والتفكر، فقال جل شأنه: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }.[5]

والمطلوب من حافظ القرآن أن يسعى إلى بلوغ رتبة الإحسان ليحصل له الفهم والتدبر، يقول عليه الصلاة والسلام في بيان معنى الإحسان في حديث جبريل:" **أن تعبدَ الله كأنك تراهُ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** "[6]، يقول ابن رجب الحنبلي في بيان صفة الإحسان: " وهي استحضار قربه – جل شأنه – وأنه بين يديه كأنه يراه وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم". [7]

فأي قلب هو الذي ينتفع صاحبه بالقرآن؟

في تصنيف ابن القيم – رحمه الله – للقلوب يقول: القلوب ثلاثة:

قلب خال من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه، لأنه قد اتخذه بيتا ووطنا وتحكم فيه بما يريد، وتمكن منه غاية التمكن.

القلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه عتمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار فالحرب دول وسجال.

---

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ج 4 ص 457 مادة فهم.

(2) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى: 538هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1 ص 540، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثانية 1407 هـ عدد الأجزاء: 4.

(3) سورة النساء، الآية: 81.

(4) سورة محمد، الآية 24.

(5) سورة ص، الآية: 29.

(6) عبد الباقي: محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص 5 كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله في تصنيف صحيح مسلم، وقال: أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام، دار النشر: دار الفكر - بيروت، بلا طبعة ولا سنة نشر.

(7) ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: 795 هـ) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ج 1 ص 126، المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة 1422 هـ - 2001م ، عدد الأجزاء: 2 في مجلد.

القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات فلنوره في قلبه إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان رجم فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو. [8]

فلا شك أن على صاحب القرآن أن يحرص أن يكون قلبه حياً بنور القرآن والإيمان، حتى يحرسه الرحمن. وحتى يكون الحافظ ملتزماً بقوله تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }. [1]

فإن عليه أن يتمثل بما كان عليه من قبلنا، يقول الحسن البصري– رحمه الله – : " إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار ". [2] أي يعملون بها.

وحين يدرك الحافظ مكانة القرآن بقلبه الطاهر، ويستشعر أنه يرتل القرآن الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبله جبريل عليه الصلاة والسلام، وتكلم به رب العزة جل جلاله، يدرك المقام الذي منحة إياه المولى، القائل: { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ }.[3] ودلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معاني القرآن ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه وأن يفهمه كما ينبغي، قال البخاري في صحيحه في هذه الآية: " **لا يجد طعمه إلا من آمن به** "[4] وهذا أيضاً من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يتلذذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من شهد أنه كلام الله، تكلم به حقاً وأنزله على رسوله وحياً. [5]

---

[8] ابن القيم: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، الوابل الصيب من الكلم الطيب ص 40، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى 1405هـ 1985م، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، عدد الأجزاء: 1.

[1] سورة البقرة، الآية : 121.

[2] النووي، التبيان في آداب حملة القرآن ص 54.

[3] سورة الواقعة، الآيات: 77 - 79.

[4] البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ونصه: " **لاَ يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالقُرْآنِ، وَلاَ يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا المُوقِنُ** " ج 9 ص 155، كتاب التوحيد، باب " **قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا** " (آل عمران: 93).

[5] ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين (المتوفى: 751هـ) التبيان في أقسام القرآن ص 230، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، بلا سنة، عدد الأجزاء: 1.

الركيزة الثالثة

الجودة والإتقان

تعد الجودة والإتقان ركيزة أساسية في حياة حفاظ القرآن وقرّائه، ويمكن بحث هذه الركيزة من خلال مسألتين:

المسألة الأولى: مفهوم الجودة والإتقان.

يقول ابن فارس: "الجيم والواو والدال أصل واحد، وهو التسمُّح بالشيء، وكثرة العطاء، يقال رجل جواد بيّن الجود، وقوم أجواد، والجود: المطر الغزير. والجواد: الفرس السريع، والجمع جياد، قال الله تعالى: { إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ }[6] والمصدر الجودة ".[7]

وفي الاصطلاح: تطلق الجودة على الأقوال والأفعال، وتعني: الإتقان والسَبق في إنجاز العمل مع الاهتمام به وأدائه على الوجه الأكمل حسب الإمكان.[1]

ولقد حث المولى سبحانه على الإحسان والإتقان في كتابه الكريم، وبيّن في خمسة مواضع من كتابه أنه يحب المحسنين، كما أخبر أنه جل شأنه صنع وأتقن، فقال: { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ }[2]، ودعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الإتقان، جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ".[3]

وحث القرآن الكريم على الارتقاء بالإتقان وصولاً إلى الإحسان، إذ يقول الحق سبحانه: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ }[4] يقول الفيروزآبادي عند تفسير الآية[5]: " فالإحسان فوق العدل، وذلك أَنَّ العدل هو أَن يعطِي ما عليه ويأْخذ ما له، والإحسان أَن يعطى أَكثر ممّا عليه ويأْخذ أَقلّ ممّا له، فالإحسان زائد عليه، فتحرّي العدل واجب، وتحرى الإحسان نَدْب وتطوع، ولذلك عظم الله ثواب أَهل الإحسان، قال تعالى: {إِنَّ الله يُحِبُّ المحسنين}[6] ".

---

(6) سورة ص، الآية: 31.

(7) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1 ص 493، مادة جود.

(1) كرزون: الدكتور أنس أحمد، الجودة والإتقان في حياة حفاظ القرآن ص 11، طبع الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم - المملكة العربية السعودية - جدة، الطبعة: الأولى 1435هـ - 2014م، عدد الأجزاء: 1.

(2) سورة النحل، الآية: 88.

(4) سورة النحل، الآية: 90.

(5) الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج2 ص 465، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة، عدد الأجزاء: 6.

(6) سورة البقرة، الآية: 195.

ومن أبرز مقومات الوصول إلى الجودة والإتقان الخشية من الله عز وجل، والإخلاص له، والقناعة بأهمية العمل مع الأخذ بالأسباب، واستشعار المسؤولية وتقوية الإرادة ومغالبة النفس والأمل بالنجاح واغتنام الأوقات.[7]

وأما مواضع الإتقان والجودة لحافظ كتاب الله، فأهمها إتقان التلاوة وتجويدها تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول ابن القيم وهو يصف تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم: " كانت قراءته ترتيلا لا هذّاً ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفا، وكان يقطّع قراءته آية آية، وكان يمد عند حروف المد "[8] وينبغي على حافظ كتاب الله أن يحصل على إجازة التلاوة والتجويد وأن يحرص على الإجازة القرآنية بسندها حتى يكون بعيداً عن الأخطاء عند التلاوة، وهو ما يعرف باللحن الخفي، فضلاً عن البعد عن اللحن الجلي في تشكيل الكلمات، وقد قيل للحسن: " إن إمامنا يلحن، فقال: أخرّوه ".[9]

ومن مواضع الجودة تحسين الصوت بقراءة القرآن، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "لَمْ يَأْذَنِ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لنبي أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرَآنِ يَجْهَرُ بِهِ" [1] وهذه إشارة إلى حسن الأداء والرضا عنه، وعن أبي موسى الأشعري، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال له: "لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ"[2]، وعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ" [3].

وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والسلف والخلف على استحباب تحسين الصوت بالقراءة، ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو إخفاه فهو حرام.[4]

ومن مواضع الإتقان والجودة إتقان تعلم القرآن أملاً بحصول الخيرية والفضل، وسعياً في الدعوة إلى الله تعالى والأجر والثواب، يقول ابن حجر: " ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضل وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }[5]

---

(7) كرزون، الجودة والإتقان في حياة حفاظ القرآن ص 17 - 33.

(8) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين (المتوفى: 711هـ) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج1 ص 463، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، مكتبة المنار الإسلامية- الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون 1415هـ - 1994م، عدد الأجزاء: 5.

(9) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (المتوفى: 671هـ) الجامع لأحكام القرآن ج1 ص 23، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423 هـ - 2003م.

(1) عبد الباقي: محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج1 ص 153، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن عند مسلم، قال: وأخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن 66، باب 19 من لم يتغن بالقرآن.

(2) النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج1 ص 546، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(3) السجستاني: أبو داود سلمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج2 ص 74، أبواب فضائل القرآن، باب كيف يستحب الترتيل في القراءة، وصححه الألباني.

(4) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، التبيان في آداب حملة القرآن ص 109- 110.

(5) سورة فصلت، الآية: 23.

والدعوة إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع ". [6] وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من علم آية من كتاب الله عز وجل، كان له ثوابها ما تليت".[7]

وكانت أعظم رسالة تشرف بها الصحابة ومن بعدهم تعليم المسلمين القرآن ونشره في كثير من البلدان.

المسألة الثانية: وسائل الجودة والإتقان[8]"

هناك مجموعة من القواعد والأسس التي تعين على حفظ القرآن، وتؤسس لأدائه بإتقان وجودة، ويمكن ذكرها باختصار مع بعض أدلتها.

– تعاهد القرآن خشية النسيان، وذلك لتثبيت الحفظ، فعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا" [9] وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ" [10].

يقول ابن حجر: " شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة ".[1]

ويقول ابن الجزري رحمه الله: " إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهو أشرف خصيصة من الله لهذه الأمة ".[2]

– تقوى الله في السر والعلن " والتقوى هي اجتناب ما نهى الله عنه وهذا من أعظم أسباب التيسير، وضده من أسباب التعسير، فالمتقي ميسرة عليه أمور دنياه وآخرته ".[3]

قال الله تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا }[4].

وقد روى عبد الله بن المبارك عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: " ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه؛ لأن الله تعالى يقول في ذلك { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ }[5] وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب ".[6]

وتباطأ الحفظ على الشافعي يوماً، فشكى إلى شيخه وكيع فقال[7]:

---

(6) ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج9 ص 76، الناشر: دار المعرفة - بيروت 1379هـ ، رقمَ كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب، عدد الأجزاء: 13.

(8) ينظر كرزون: الدكتور أنس أحمد، الجودة والإتقان في حياة حفاظ القرآن ص 105 - 120.

(9) النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج1 ص545، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية وجواز قول أنسيتها.

(10) متفق عليه، البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ج6 ص 193، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، والنيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، في الموضع المذكور في الهامش السابق.

(1) ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري،ج9 ص 79.

(2) ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ) النشر في القراءات العشر ج1 ص 6، المحقق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، بلا سنة، عدد الأجزاء: 4.

(3) ابن القيم: محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، ص 57.

(4) سورة الطلاق، الآية: 4.

(5) سورة الشورى، الآية: 30.

(6) ابن المبارك: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي، الزهد ص 28، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: عبد الرحمن الأعظمي، عدد الأجزاء: 1.

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يهدى لعاصي

– قيام الليل، يقول عليه الصلاة والسلام: "**وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ**"[8].

– كثرة التلاوة وتكرارها، يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله: " إن أفضل ما يُتقرب به إلى الله تعالى كثرة تلاوة القرآن، وسماعه بتفكر وتدبر وفهم، قال خباب بن الأرت لرجل: تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه ".[9]

– استماع القرآن من القرّاء المجودين والإنصات لتلاوتهم، وذلك عملاً بقوله تعالى: { **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** }[10].

– اجتماع الحواس ومشاركتها في المراجعة، يقول ابن القيم رحمه الله: " أي عضو كثرت رياضته قوي، ومن استكثر من الحفظ قويت حافظته، ومن استكثر من الفكر قويت قوته المفكرة، ولكل عضو رياضة تخصه ".[1]

– فضلاً عن التركيز في الحفظ واختيار الصحبة الصالحة، والاستعانة والاستئناس بهم، لشحذ الهِمم وبلوغ القمم، وتجنب الحفظ السريع لأنه يؤدي إلى النسيان السريع.

الركيزة الرابعة

علو الهمة

قال أهل اللغة: الهَمة والهِمة ما هم به من أمر ليفعله، والهمام الملك العظيم الهمة، وأطلق على الملك: اسم الهمام؛ لأنه إذا همَّ بأمر أمضاه لا يرد عنه، بل ينفذ كما أراد، وقيل الهمام السيد الشجاع السخي.[2]

والهِمَّةُ: فِعْلَةٌ من الهَمّ، وهو مبدأُ الإرادة، ولكن حصولها بنهاية الإرادة، والهَمُّ مبدؤها، والهِمَّةُ نِهايتُها، والهِمَّةُ ما يَمْلِك الانْبِعاثَ للمقصود صِرْفاً، والمراد أَنَّ هِمَّة العبْدِ إذا تعلَّقت بالحقّ تعالى طَلَبه خالصاً صادقاً ومَحْضاً، وصاحبُ هذه الهمّة سريعٌ وصولُه وظَفَرُه بمطلوبه ما لم تَعُقْهُ العوائق.[3]

---

[7] الشافعي: محمد بن إدريس (المتوفى: 204هـ) ديوان الإمام الشافعي ص 76، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1409هـ 1988م.

[9] ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ج1 ص 342.

[10] سورة الأعراف، الآية 204.

[1] ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 4 ص 226.

[2] ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب ج12 ص 621 مادة همّ، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة 1414هـ، عدد الأجزاء: 15.

[3] الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج5 ص 345- 346.

والمقصود باصطلاح علو الهمة كما يقول الراغب الأصفهاني: " والكبير الهمة على الإطلاق من يتحرى الفضائل لا لجاه ولا لثروة ولا للذة ولا لاستشعار نخوة واستعلاء على البرية، بل يتحرى مصالح العباد شاكرًا بذلك نعمة الله، ومتوخيًا به مرضاته غير مكترث بقلة مصاحبيه ".[4] ومن وصايا عمر بن الخطاب في تعزيز الهمة: " لَا تُصَغِّرَنَّ هِمَّتَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ "[5]، وعن الجنيد أنه كان يقول: " ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله فإن لم ينله كله نال بعضه " .[6]

وينبغي لحافظ القرآن أن يثابر في تثبيت حفظه، وطلب علوم القرآن ومرافقة العلماء ومصاحبة الكتاب حتى يسابق إلى الأعالي، كما ينبغي له أن يواصل الليل بالنهار في التلاوة والتعبد والانصياع والعمل بما علم دون كلل أو ملل يستشعر قوله تعالى: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }.[7]

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: " من علت همته؛ طلب العلوم كلها، ولم يتقصر على بعضها، وطلب من كل علم نهايته،... والعالي الهمة يرى التقصير في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه، والقصير الهمة لا يبالي ... والدنيا دار سباق إلى أعالي المعالي، فينبغي لذي الهمة ألا يقصر في شوطه، فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جواده لم يُلَم ".[1]

ولقد ذكر الدكتور سيد العفاني عشرات الأئمة بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الصحابة والتابعين وبعدهم ممن علت همته في تلاوة القرآن، والمداومة عليه، فليراجع لمن يرغب.[2]

الركيزة الخامسة

العمل بالقرآن والانتفاع به

يقصد بالعمل بالقرآن تحويل تلاوته وآياته إلى سلوك عملي، ينتفع به قارئ القرآن وحافظه، لأن القرآن كما نزل للتلاوة فقد نزل للعمل، إذ أننا لسنا بحاجة إلى أجهزة تسجيل وأصوات، بقدر ما نحن بحاجة إلى من يتمثل القرآن في قوله وفعله وخُلقه، روى البغدادي بسنده عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: "لَا يَغُرَّنَّكُمْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ يُتَكَلَّمُ بِهِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا مَنْ يَعْمَلُ بِهِ

---

[4] الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 209، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام - القاهرة، عام النشر 1428هـ - 2007م، عدد الأجزاء: 1.

[5] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد البغدادي (المتوفى: 450هـ) أدب الدنيا والدين ص 319، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بلا، تاريخ النشر: 1986م، عدد الأجزاء: 1.

[6] رواه البغدادي عن الجنيد، البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج2 ص 179، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف– الرياض، عدد الأجزاء: 2.

[7] سورة طه، الآية: 114.

[1] ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المتوفى: 597 هـ) صيد الخاطر ص 469– 470، بعناية حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى 1425هـ – 2004م.

[2] العفاني: الدكتور سيد بن حسين، صلاح الأمة في علوّ الهمة، ج 3 ص 5 – 85، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، الطبعة: الثانية 1420هـ 1999م، عدد الأجزاء: 7.

"[3]. وعن الفضيل بن عياض قال: إنما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً أي ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه ويقفوا عند متشابهه.[4] وهناك مفهوم آخر، فبعض الناس اتخذوا تلاوته عملاً ومصدر تكسب للمال والله المستعان.

قال ابن القيم رحمه الله معلقاً على الصنفين: "قال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم".[5]

قال تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ }[6] قال مجاهد: أي يعملون به حق عمله.[7]

وعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال: "يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا".[8]

وتطبيق القرآن والعمل بما فيه يجعله حجة لصاحبه، وبترك العمل يصير حجة على القارئ والحافظ، فعن أبي مالك الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"[1]

وقوله حجة لك أو عليك، معناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك.[2] وكان من نهج الصحابة في الحفظ، عدم تجاوز الآيات التي حفظوها حتى يعملوا بها، روى الطبري عن ابن مسعود قال: "كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ"، وعن ابن عبد الرحمن قال: "حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِؤُنَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْتَقْرَئُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُخْلِفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا". [3]

والانتفاع بالقرآن تدبراً وتذكراً، وعملاً وتطبيقاً، وتغنياً وتلذذاً ركيزة أساس في تثبيت حفظه وحصول الفائدة منه، قال تعالى: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ }[4] وقال: { اللَّهُ نَزَّلَ

---

[3] البغدادي: أبو بكر محمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) اقتضاء العلم العمل، ص 71، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الرابعة 1397هـ، عدد الأجزاء: 1.

[4] الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين، أخلاق حملة القرآن، ص 46.

[5] ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج1 ص 327.

[6] سورة البقرة، الآية: 121.

[7] الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين، أخلاق حملة القرآن ص 39.

[8] البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج9 ص 93، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[2] النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين (المتوفى: 679هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج3 ص 102، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية 1392هـ، عدد الأجزاء: 18 في 9 مجلدات.

[3] الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (المتوفى: 310هـ) تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1 ص 74، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م، عدد الأجزاء: 26، وقد صحح الطبري خبر ابن مسعود في تفسيره ج 1 ص 83، قال: " وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود ... ".

[4] سورة الحديد، الآية: 16.

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }.[5]

وعن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فشخص بصره إلى السماء ثم قال: "هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ".[6]

وجاء رجل إلى عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – فقال: "إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ"[7].

فالهذُّ شدة الإسراع في التلاوة، مع الاكتفاء بها من غير عمل وانتفاع لا يفيد القارئ والحافظ، ولهذا أثنى المولى على من ينتفعون بالتلاوة بازدياد إيمانهم: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }[1] وقال: { وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا }.[2]

قال ابن عباس رضي الله عنه: " لم يكونوا صماً وعمياناً، بل كانون خائفين خاشعين ".[3]

ولقد بيّن ابن القيم أنواع هجر القرآن، فقال: هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والاستغناء عنه، والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه آمن به، والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه، والرابع: هجر تدبره وتفهمه، والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، وكل هذا داخل في قوله تعالى: { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً }[4] وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.[5]

قال الإمام الآجري رحمه الله: " المؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح منه، فما حذره مولاه حذره، وما خوّفه من عقابه خافه، وما رغب فيه مولاه رغبه ورجاه، فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته ورعاه حق رعايته، وكان القرآن له شاهداً وشفيعاً وأنيساً وحرزاً، ومن كان هذا وصفه نفع نفسه ونفع أهله وعاد على والديه وعلى ولده كل خير في الدنيا والآخرة ".[6]

---

(5) سورة الزمر، الآية: 23.

(1) سورة الأنفال، الآية: 2.

(2) سورة الفرقان، الآية: 73.

(3) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين (المتوفى: 750هـ) الفوائد ص 80، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية 1393هـ - 1973م، عدد الأجزاء: 1.

(4) سورة الفرقان، الآية: 30.

(5) ابن القيم: محمد بن أبي بكر، الفوائد ص 83.

(6) الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين، أخلاق حملة القرآن، ص 28.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: " ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر، وتثبِّت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنائه وتوطد أركانه وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه ".[7]

وقال الفضيل بن عياض: " حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو مع من يلهو تعظيماً لحق القرآن". [8]

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

في نهاية البحث، فقد وصل الباحث للنتائج الآتية:

- إن الإخلاص ركيزة هامة في حفظ القرآن وله أثر عظيم في ذلك، وهو أحد شرطي قبول العبادة عموماً.
- إن التباهي بالقرآن وجعله طريقاً للتكسب أو السمعة، يحرم صاحبه من الثواب وقد يصل به إلى نار جهنم.
- لا يمكن لحافظ القرآن أن ينتفع بحفظه إلا إذا رافقه الفهم والتدبر والخشوع.
- على حافظ القرآن أن يسعى لإتقان تلاوته وجودة قراءته بأعلى المستويات وفي كافة المواضع.
- للإتقان والجودة وسائل تعين على تحقيقها، وعلى الحافظ أن يسلك مسالكها.
- علو همة الحافظ ركيزة أساس في تثبيت حفظ القرآن.
- ينتفع حافظ القرآن بحفظه إذا عمل بالقرآن والتزم به في أقواله وأفعاله وأخلاقه.
- الفهم والتدبر، والإتقان والجودة، وعلو الهمة، والعمل بالقرآن والانتفاع به تقع تحت شرط قبول العمل الثاني بعد الإخلاص، وهو أن يكون العمل والعبادة مشروعاً وعلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

التوصيات:

- ضرورة إطلاّع محفظي القرآن والمهتمين بالأمر على أحوال السلف الصالح في تحقيق ركائز حفظ القرآن لدى الطلبة والحافظين.
- ضرورة سعي المحفظين إلى تحقيق ركائز حفظ القرآن في نفوس الطلبة وسلوك الحافظين.
- ضرورة علاج النقص والسلوكات المعارضة لركائز حفظ القرآن لدى البعض.
- التأكيد على غرس التربية والأخلاق ومعاني القرآن خلال تعلمها ومذاكرتها.

---

(7) ابن القيم: محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1 ص 450، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة 1416هـ - 1996م، عدد الأجزاء: 2.

(8) الآجري: أبو بكر محمد بن أبي بكر، أخلاق حملة القرآن ص 41، والنووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص 55.